

الفصل السابع عشر كُرباج الدين

كارهون لله

انكمشت ذعراً وأنا أشاهد أمّاً فخورة بنفسها تستعمل الله كعصا للتأديب. ارتكب الطفل «شقاوة» فحذّرتَه الأمّ: «لا تفعل ذلك؛ فالله لا يحبّ الشقاوة». أو: «سيعاقبك الله على ذلك». وأيضاً: «قد لا ترى ماما ما تفعله، لكن الله يراك». هذا هو التدريب السلبي ذو النتيجة العكسية بعينه! فهذا «التأديب» ينتج شخصاً كارهاً لله، فيخاف منه ويحتقره في نفس الوقت. لكني أقول: إياك أن تستخدم الله لتهديد أو تخويف طفلك كي يخضع. لأنك لو أجبرته عن طريق تهديدك بالله، خلع عذار الدين في أقرب فرصة سانحة. أعرف والدين مسيحيين أصبح أطفالهما متمردين وملاّنين بالمرارة على الدين لأجل هذا السبب عينه.

إنّ المبدأ الفعّال هنا هو مبدأ التكيف عن طريق الترابط. فعندما يحدث شيآن غير مرتبطين في نفس الوقت، يندمجان في اللاشعور. وعندما يستدعي الشعور (الذهن الواعي) أحدهما، يكون الآخر مرتبطاً به.

كانت فتاة مراهقة في مزرعة نائية تشعر بالوحدة والعزلة، فترقد في سريرها تنصت إلى صفارات القطار البعيدة بينما تجتر مشاعر

العزلة والرثاء على نفسها. وبعد ذلك بسنوات، تزوّجت ورحلت إلى مكان بعيد، ثم رُزقت بعدة أطفال، وكانت كلما سمعت صفارة قطار، تشعر بالوحدة وينقبض صدرها. كان مزاجها يتغيّر تماماً، ولم تعرف السبب.

حضرتُ أحد المعسكرات الصيفية المسيحية وأنا في سنّ المراهقة، وكان بعض الأولاد يصنعون ضجة في وقت متأخر من الليل، ممّا ضايق المسؤول عن المعسكر وأغضبه كثيراً. فما كان منه إلا أن أدّبهم بجعلهم يجلسون ويقرأون الكتاب المقدس. وحدث أن قمت في الساعة الثانية صباحاً لأدخل دورة المياه، فإذا بهم جالسون والكتاب المقدس مفتوح في حجرهم وعلى وجوههم نظرة عبوس ونكد. ورغم سني الصغير وحبّي الشخصي للكتاب المقدس وعدم درايتي بعلم النفس، حزنت حزناً بيناً على نتيجة هذا «التأديب». ذلك أن مسؤول المعسكر كان يكيّف هؤلاء الشباب على كره الكتاب المقدس. ففي كل مرة ينظرون إلى صفحاته، كان السخط يهيج في قلوبهم، فيرتبط في أذهانهم الكتاب المقدس المفتوح بمرارة نفوسهم في تلك الليلة. وإذا استمر الحال على هذا ثلاث أو أربع ساعات متواصلة، فإن هذا الاشمئزاز يمكن أن يستمر طول العمر، خصوصاً إذا وجد هذا الاشمئزاز ما يدعّمه من أحداث فيما بعد.

أعرف أمّاً تجعل أطفالها يبحثون عن آيات من الكتاب المقدس على سبيل العقاب. إن التمرين نفسه يمكن أن يكون مفيداً، فيما

عدا لو حدث كوسيلة للتعامل مع التمرّد. التمرّد يجب علاجه بالعصا والتّصحيح.

ما أحلى الذكريات الجيدة

لا تستعمل وقت العبادة العائلية (المذبح العائلي) كمجال لتصفية الحسابات. لا يجب أبداً أن يتحوّل وقت العبادة العائلية إلى وقت «تهزيء وبهدلة». لا أحد منا يشعر بالارتياح إذا دُعِيَ إلى مكتب ناظر المدرسة. كان ناظر المدرسة هو القائم بالتأديب الحقيقي حينما كنت في المدرسة. قد عشت نصف قرن تقريباً ولا أزال أشعر بالجزع والتردد إذا دخلت مكتب ناظر مدرسة حكومية. فلقد كان لي معه عدة صدامات تركت أثراً بالغاً في نفسي، حتى أنني تميّت أن أصنع دمية على صورته وآمره أن ينحني فأمشقه بالعصا كما فعل معي.

وعلى النقيض، عندما أرى أصابع الطباشير الملوّن، أتذكر السيدة جونسون، مُدرّسة الفنون، تبتسم وهي تنصب أمامنا صورة ثابتة لرسمةا. آه لو استطعت أن أعود إلى هناك، لكنت قضيت ساعات وساعات.

ما الذكريات والترابطات التي تخزّنها في عقل طفلك الباطن؟ علّمهم الكتاب المقدس في بيتك. أعطهم تمارين للبحث عن آيات عن الصبر والحبّ والأمانة... الخ، لكن إياك وعمل ذلك كرد فعل، لفشلهم في مجال ما. إذا كان عندهم ضعف يحتاج إلى تقويم،

فانتظر حتى يزول الضَّغَط والذنب قبل إعطائهم درساً يتعلَّق بموطن ضعفهم. لأنَّ إذا ظَلَّت مشاعر الذنب باقية، فإنَّ الدرس سيؤدي إلى مزيد من الإحساس بالإدانة والعزلة، لا تحررهم منه العصا. عندما ينفصل التوجيه المتعلِّق بالله عن تأديبك، تكون لهم حرية الربط بينهما دون الشعور بأنهم يُراقَبون أو يُقيَّمون. وإلا فسيعمل أطفالك للحصول على رضا الله، بالإضافة إلى رضاك. اسمح لروح الله بإخراج الحقائق إلى وعي طفلك. إنَّ تمييز الشخص البالغ أكثر تطوراً من تمييز الطفل، فلا تجعلهم يعيشون في خوف من الله قبل أن يبلغوا سنّاً تمكّنهم من رؤية الأمور في نصابها الصحيح.